بالطعام اشتغلت الحرارة بهضمه واذا خلت عن الطعام طلبت الحرارة رطوبة
الجسم فيتألم الانسان فبالشد تضعف تلك الحرارة وقد روى الشد مسلم
عن انس قال جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فوجدته جالسا مع
اصحابه يحدثهم وقد عصب بطنه بعصابة فقالوا من الجوع وقوله وطوى
تحت الحجارة كشحا مترف الادم عطف على الشد والطي اللف والكشح الخاصرة
والمترف الناعم من الترف وهو النعومة المفرطة وفائدة هذا الطي ان برودة
الحجر تخفف حرارة الباطن وقد روى البخاري الطي عن جابر قال مكث صلى الله
عليه وسلم لم يذق الطعام ثلاثا وهم يحفرون الخندق فقالوا يا رسول الله
ان ههنا كدية من الجبل قد عجزت معاولنا عنها فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم رشوها بالماء فرشوها به ثم جاء رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاخذ المعول ثم قال بسم الله فضرب ثلاثا فصارت كثيبا قال جابر
فحانت مني التفاتة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد شد على بطنه
حجرا واستشكل ما ذكر من الشد والطي بقوله صلى الله عليه وسلم ابيت عند
ربي يطعمني ويسقيني لان من هذا حاله لا يعصب احشاءه ويطوي
كشحه تحت الحجارة من الجوع واجيب بان معنى الحديث ابيت مستحضر اجلال
ربي فيعطيني قوة الطاعم والشارب والمراد بذلك انه ضمن له قوة بدنه
ونضارة جسمه حتى ان من رآه لا يظن به جوعا ولا عطشا كما اشار الى ذلك
الناظم بقوله مترف الادم فهو من قبيل الاحتراس ووجه حصول الجوع له صلى الله
عليه وسلم لانه لا فيه الاطعام في الحديث **قوله** وراودته الجبال اي لما كان
قد يتوهم من قوله وشد من سغب اي انه صلى الله عليه وسلم كان فقيرا من المال
دفع ذلك التوهم بقوله وراودته الجبال الخ والمراودة المطالبة يقال راوده
اي طلب منه ان يكون على مراده واسناد المراودة للجبال مجاز لان الله هو
الذي خيره في ذلك ويحتمل ان يكون حقيقة اذ لا مانع من ان يخلق الله فيها
ادراكا وتراوده حقيقة وال في الجبال للعهد الذهني والمعهود هنا هو جبال
مكة كما تدل عليه الاحاديث الصحيحة فقد روي انه صلى الله عليه وسلم

قال

١٥

قال عرض علي ربي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب ولكن اجوع يوما واشبع
يوما فاذا اشبعت حمدتك واذا جعت تضرعت اليك ودعوتك وروي
ان جبريل عليه السلام نزل عليه صلى الله عليه وسلم فقال له ان الله يقرئك
السلام ويقول لك اتحب ان تكون لك هذه الجبال ذهبا وفضة تكون معك
حيث ما كنت فاطرق ساعة ثم قال يا جبريل ان الدنيا دار من لا دار له ومال
من لا مال له يجمعها من لا عقل له فقال له جبريل ثبتك الله بالقول
الثابت وقوله الشم اي المرتفعة وهي جمع اشم مشتق من الشمم وهو الارتفاع
وقوله من ذهب اي ان تكون من ذهب فهو خبر لتكون المحذوفة وليس حالا
خلافا لبعضهم لانها لم تكن من ذهب حين المراودة وانما طلبت منه ان
تكون كذلك وقوله عن نفسه اي من اجل نفسه فعن للتعليل وقوله
فاراها ايما شمم اي فاراها شمما ايما شمم اي شمما عظيما اي اعرض اعراضا شديدا
علما منه بان ما عند الله خير وابقى **قوله** واكدت زهده فيها اي التاكيد
التقوية والزهد ترك الشيء وقلة الرغبة فيه والضمير المجرور بفي راجع
للجبال التي تكون من ذهب وبعضهم جعله راجعا للدنيا والاول اولى لعدم
تقدم ذكر الدنيا وان كانت معلومة من المقام والضرورة شدة الحاجة
ولا يخفى ان زهده مفعول مقدم وضرورته فاعل موخر وانما اكدت ضرورته زهده
فيها لان الاعراض عن الشيء وقلة الرغبة فيه مع شدة الاحتياج اليه
دليل جلي وبرهان قطعي على الزهد في ذلك الشيء وقوله ان الضرورة الخ مستانف
استئنافا بيانيا لكونه واقعا في جواب سؤال مقدر فكانه قيل له كيف تؤكد
ضرورته زهده فيها مع ان الضرورة تقتضي الاقبال عليها وعدم الاعراض
عنها فقال ان الضرورة الخ وقوله لا تعدو على العصم اي لا تتعدى عليها يقال عدى
عليه اي تعدى عليه وفي كلامه حذف مضاف اي على ذوي العصم وهم الانبيا
عليهم الصلاة والسلام هذا ان قرئ العصم بكسر العين وفتح الصاد كما هو
المشهور على انه جمع عصمة فان قرئ العصم بفتح العين وكسر الصاد كما استصوبه
ابن مرزوق على ان اصله عصيم بمعنى معصوم حذفت ياؤه للضرورة فلا حذف

Copyright King Saud University